مواجهة بني أمية لعبد الله بن الزبير

_ قراءة في كرونولوجيا الصراع السياسي و العسكري على ضوء المراسلات الرسمية_

The Clash between the Umayyad and Abdullah Bin Zubair

An Analysis of the Chronology of Political and military conflict in the Light of Official Correspondences

*مراد لكحل، أستاذ محاضر " أ "
جامعة محمد بوضياف –المسيلة-، mourad.lakhal@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/02/21 تاريخ القبول: 2021/06/06 تاريخ النشر: 2022/06/28

ملخص:

كانت معارضة عبد الله بن الزبير من أبرز الحركات المناهضة لحكم بني أمية، إذ دفعه طموحه لاعتلاء عرش الخلافة إلى محاربة الأمويين بالسلاح خصوصا منهم عبد الملك بن مروان، فبذل الأمويون كل السبل لإخماد حركته وإيقاف توسعه، وقد نقلت لنا المصادر العديد من الرسائل التي بعث بها الخلفاء الأمويون بهذا الشأن سواء إلى عمالهم أو إلى ابن الزبير نفسه في محاولة لإثنائه عن عزمه بطرق سلمية قبل التحول إلى المناجزة والقتال، فكان الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على هذا الجانب من الصراع وتتبع مراحله على ضوء الرسائل التي بعثها الخلفاء إليه أو إلى عمالهم في كيفية التعامل معه، بدءا من معاوية بن أبي سفيان وانتهاء بعبد الملك بن مروان الذي كانت نهاية ابن الزبير على يديه، معتمدين على المنهج التاريخي بآلية الوصف والتحليل والاستقراء من خلال تتبعنا لنصوص تلك الرسائل في مضانها، واستنباط ما من شأنه أن يخدمنا في تتبع مراحل الصراع وتفاصيله، ولقد تبين لنا من خلال الرسائل والنصوص أن الأمويين سخروا كل جهدهم وإمكاناتهم من أجل القضاء على ثورة ابن الزبير والحد من توسعها، واختاروا في كثير من الأحيان قادة أكفاء لتلك المهمات،كانوا سببا في حسم المواقف وإخماد نيرانها، معتمدين المواجهة العسكرية وحسم المواقف بالسيف دون الفكر، وبالقضاء على ابن الزبير فشلت سياسته التي كان بواسطتها ينوي إعادة مجد الحجاز واعتباره السياسي على ما كان عليه أيام العهد النبوي والراشدي، وخلص بذلك الحجاز لعبد الملك وعادت

*المؤلف المرسل: مراد لكحل ، الإيميلmourad.lakhal@univ-msila.dz

الوحدة السياسية للأمة من جديد ولم يبق ينغص على عبد الملك أمر خلافته إلا الخوارج في العراق الذين كانت طاعتهم مغشوشة.

كلمات مفتاحية: ابن الزبير، الأمويون، رسائل، صراع، معارضة.

Abstract:

The opposition of Abdullah bin Zubair was one of the most prominent movements against the rule of Bani Umayyad, his ambition to ascend the throne of the caliphate pushed him to fight the Umayyads with weapons, especially Abdul Malik bin Marwan, the Umayyads made all means to suppress his movement and stop his expansion, and the sources conveyed to us many messages sent by The Umayyad caliphs in this regard, whether to their workers or to Ibn al-Zubair himself in an attempt to dissuade him from his determination in peaceful ways before switching to the conflict and fighting, the aim of this study was to stand on this side of the conflict and follow its stages in light of the messages sent by the caliphs to him or to their workers about dealing with him, starting with Maaouiya ibn Abi Sofian and ending with Abd al-Malik bin Marwan, whose the end of ibn al-Zubair was by his hands, relying on the historical approach to the mechanism of description, analysis and extrapolation by following the texts of those messages in their sources , and devising what would serve us in tracking the stages of the conflict and its details, We have found through letters and texts that the Umayyads harnessed all their efforts and abilities in order to eliminate ibn zubair's revolution and limit its expansion, they often chose competent leaders for those tasks, who were the cause of the resolution of situations , adopting military confrontation and resolving positions by the sword not thought, and by eliminating ibn al-Zubair, his policy failed, by which he intended to restore the glory of the Hijaz and his political consideration as it was in the days of the Prophet's and The Prophet's covenant. Abd al-Malik restored the hidjaz and the nation's political unity returned again and all who left against him were Kharijites in Iraq whose obedience was adulterated.

Keywords: Ibn al-Zubair, Umayyad, Letters, Conflict, Opposition.

Résumé

L'opposition d'Abdullah bin Zubair a été l'un des mouvements les plus importants contre le régime de Bani Omeyyade, comme son ambition de monter sur le trône du califat l'a poussé à combattre les Omeyyades avec des armes, en particulier Abdul Malik bin Marwan, les Omeyyades ont fait tous les moyens de supprimer son mouvement et arrêter son expansion, et les sources transmises à nous de nombreux messages envoyés par Les califes omeyyades à cet égard, que ce soit à leurs travailleurs ou à Ibn al-Zubair lui-même dans une tentative de le dissuader de sa détermination de manière pacifique avant de passer au conflit et aux combats, le but de cette étude était de se tenir de ce côté du conflit et de suivre ses étapes à la lumière des messages envoyés par les califes à lui ou à leurs travailleurs à Kiifi. Traiter avec elle, en commençant par Maaouiya ibn Abi Sofian et se terminant par Abd al-Malik bin Marwan, dont la fin était ibn al-Zubair à ses mains, en s'appuyant sur l'approche historique du mécanisme de description, d'analyse et d'extrapolation en suivant les textes de ces messages dans leur domaine, et en concevant ce qui nous servirait à suivre les étapes du conflit et ses détails, Nous avons constaté par des lettres et des textes que les Omeyyades ont exploité tous leurs efforts et leur potentiel afin d'éliminer la révolution d'ibn zubair et de limiter son expansion, et ont souvent choisi des dirigeants compétents pour ces tâches, qui ont été la cause de la résolution des positions et ont éteint leurs feux, adoptant la confrontation militaire et résolvant des positions. Par l'épée sans pensée, et en éliminant ibn al-Zubair, sa politique a échoué, par laquelle il avait l'intention de restaurer la gloire du Hijaz et sa considération politique telle qu'elle était à l'époque de l'alliance du Prophète et du Prophète. Les Kharijites en Irak dont l'obéissance a été frelatée.

Mots clés : Ibn al-Zubair, Omeyyade, Lettres, Conflit, Opposition

مقدمة:

تعرضت الدولة الأموية منذ قيامها وحتى سقوطها لظهور العديد من الحركات المعارضة للحكم الأموي، وإن اختلفت بواعث هذه الحركات ومنطلقاتها إلا أنها تجتمع على مواجهة الحكم الأموي وإشهار السيف ضد بني أمية وأعوانهم، وقد كان وراء حدوثها أسباب متعددة إما مذهبية ودينية أو سياسية ، أو نزعة إقليمية أو عرقية، أو طموحات شخصية كتلك التي كانت لدى عبد الله بن الزبير، والذي دفعته رغبته في السلطة إلى الخروج عن بني أمية وإشهار السيف في وجوههم، فبذل الخلفاء الأمويون كل ما في وسعهم من أجل إيقاف طموحه، وإخماد ثورته التي هددت ملكهم بالزوال، فكان

الهدف من دراستنا هذه هو تسليط الضوء على حيثيات النزاع ومراحله من خلال رسائل الخلفاء الأمويين التي أوردتها المصادر بهذا الشأن، معتمدين على منهج استقصاء هذه الرسائل من المصادر المتقدمة وعرضها بالروايات المختلفة ومقارنة الروايات ببعضها، ثم دراسة وتحليل مضمونها، وبناء مقاربة تاريخية للأحداث من خلالها، وعليه تصب إشكالية بحثنا في مايلي: كيف ساهمت هذه الرسائل في بناء تصور لأحداث الصراع الأموي الزبيري؟ وماهي أهم مراحل الصراع في ضوء هذه المراسلات؟

1-ابن الزبير وخلفاء الفرع السفياني(معاوية ويزيد):

أ. اضطراب العلاقة بين معاوية و ابن الزبير:

عارض ابن الزبير وأنصاره حكم معاوية ويزيد وعبد الملك، لأن معاوية في نظرهم خالف القواعد فعهد إلى إبنه وصير الخلافة كسروية أو قيصرية، واستأثر بفيء المسلمين، وآثر به أهله، على حين أن ابن الزبير- على حد تفكيرهم- أولى بالخلافة من يزيد(أحمد محمد الحوفي، 1965م، ص177)، لذلك وقف الأمويون بدءا من معاوية على قدم وساق للحفاظ على ملكهم من التصدع وأخمدوا كل ما من شأنه أن يهدد سلطانهم، وأبقوا أعينهم مفتحة على رؤوس المعارضة والطامحين إلى السلطة.

ومما يذكر في سياق النزاع بين معاوية وعبد الله بن الزبير ما رواه البلاذري عن سحيم بن حفص قال:«كانت لعبد الله الزبير أرض إلى جانب أرض معاوية، فاقتتل غلمان معاوية وغلمان ابن الزبير، فكتب ابن الزبير إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، فقد غلبتنا بحمرانك وسوادنك، ولقد التقت حلقتا البطان[1]، واستوت بنا وبك الأقدام، علمت من عبد الله أن سودانك وحمرانك لا يغنون عنك شيئا، فقرأ معاوية الكتاب ثم رمى به إلى ابنه يزيد، فقال: ما عندك؟ قال: تبعث إليه من يقتله فتستريح من حمقه وعجبه، قال: يا بني له بنون وعشيرة تمنعه، إن بعثت بمائة رجل وأعطيت كل رجل ألفا بلغ ذلك مائة ألف، ولا أدري على من تكون الدبرة، فإن غلبوا بعثت ألفا وأعطيتهم ألف ألف، ولكني أكتب إليه، فكتب إليه: «**من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عبد الله بن الزبير، أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك غلبتك بحمراننا وسودانا، وأنه إن التقت حلقتنا البطان، واستوت بنا وبك الأقدام علمنا أن حمراننا وسودانا لا يغنون عنا شيئا، وإن أمير المؤمنين قد وهب لك ذلك المال بحمرانه وسودانه، فخذه خضرا نضرا والسلام**»(البلاذري، ج5، 1996م، ص، 60، 61).

فكتب إليه عبد الله بن الزبير: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من عبد الله بن الزبير، أما بعد، فقد غلبتنا بحلمك، وجدت لنا بمالك، فجزاك الله يا أمير المؤمنين خير جزاء، فلما أتى معاوية الكتاب قال ليزيد: يا بني أهذا خير أم ما أردت ؟ (البلاذري، ج5، 1996م، ص 61)

لقد أثبتت هذه الرواية حنكة معاوية وتوجيه في التعامل مع الآخرين، خاصة كبار الشخصيات الذين كانوا يضاهونه في المنزلة، لقد كان معاوية رجل حلم، يحتفظ برباطة جأش مطلقة، ويتخذ القرارات الأخف ضررا، وكان من المستطاع أن يفرض استخدام القوة حلا لقضاياه، لكنه كان ذا عقلية واقعية وسياسية إلى حد بارز أبانت على مقدرته القيادية(محمد عبد الحي محمد شعبان، 1987م، ص87)، وكثيرا ما كان يقول :«لا أضع سيفي حيث يكفني مالي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني»(ابن عساكر ، ج56، 1995م، ص173)، ولم يقم في بني أمية رجل مثله في الدهاء والتعقل، مما يعبر عنه أهل هذا الزمان بالسياسة، فقد كان أكثرهم حكمة ودهاء وبصيرة، وخصوصا إذا تحرينا موقفه إزاء طلاب الخلافة، ولهذا غلب عليهم جميعا فقبض على أزمة الملك وجعله إرثا في نسله، ولم يسفك في سبيل ذلك دما كثيرا، وإنما كانت عمدته سعة الصدر والدهاء وبذل المال (زيدان جرجي ، ج2، د.ت، ص349).

ولما قرر معاوية أن يعهد لابنه يزيد بالخلافة كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره بأن يدعو أهل المدينة إلى البيعة، ويكتب إليه بمن سارع ومن لم يسارع، فلما فعل كتب إليه بإبطاء بني هاشم وذكر في كتابه:«...وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير» (ابن قتيبة ، ج1، د.ت، ص154)، فكتب معاوية إلى ابن الزبير:

« رأيت كرام الناس إن كف عنهم	بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما إن كان عفوا بقدرة	فذلك أحرى أن يجل ويعظما
ولست بذي لوم فتعذر بالذي	أتاه بالأخلاق من كان ألوما
ولكن غشا لست تعرف غيره	وقد غش قبل اليوم إبليس آدما
فما غش إلا نفسه في فعاله	فأصبح ملعونا وقد كان مكرما
وإني لأخشى أن أنالك بالذي	أردت فيجزي الله من كان أظلما»(ابن قتيبة ، ج1، د.ت، ص154)

فهذه شدة من معاوية إقتضاها الموقف، ولها ما يبررها، مع ملاحظة أن هذه الشدة لا نلمسها في التعامل مع الحسين الذي حضي بحسن معاملة من قبل معاوية.

لقد رأى ابن الزبير أن الخلافة لقريش وحدها، كما أعلن ذلك أبو بكر يوم السقيفة، ولكن لابد من قصرها على الأكفاء، وعبد الله أكفأ القرشيين المعاصرين ليزيد، بل كان يرى نفسه أكفأ من معاوية، لكنه لم يجد في عهده بدا من الصمت، لأجل ذلك لم يلبث أن عارض البيعة ليزيد، ونقضها بعد موت معاوية، ثم أعلنها ثورة فعلية بعد مقتل الحسين، فهب يدعو إلى نفسه(أحمد محمد الحوفي،

1965م، ص116، 117) ، وبذلك اتضح فكر ورؤية معاوية في عبد الله بن الزبير عندما حذر ابنه يزيد منه[2] ، اتضح هذا بعد مقتل الحسين، إذ أعلن عبد الله نفسه أميرا للمؤمنين في مكة والحجاز وبويع له فيها (عبد اللطيف عبد الهادي السيد، 2008، ص114).

ب. تفاقم العداوة و تصعيد التوتر بين يزيد وعبد الله بن الزبير:

بعد وفاة معاوية وتولي ابنه يزيد كتب هذا الأخير إلى عبيد الله بن زياد **بإنفاذ قطائع المنذر بن الزبير** ، فأنفذها له عبيد الله، وأقطعه زيادة فيها(ابن عساكر ، ج60، 1995م، ص292)، ذلك أن معاوية كان قد أقطع المنذر قطائع بالبصرة، فما كان من يزيد إلا أن صوغه إياها، ولما نهي عن ذلك لعداوة أخيه عبد الله بن الزبير، قال: أكره أن أرد شيئا فعله أبي(ابن عساكر ، ج60، 1995م ص292) ، وهذا الأمر من يزيد كان بعد وفود المنذر ابن الزبير عليه مع أصحاب وقعة الحرة قبل وقوعها، لكن سيغير موقفه من المنذر ابن الزبير لما يبلغه أمر وقعة الحرة، فيزيد خاف من آل الزبير أن يفتحوا عليه ثورة أخرى في جبهة أخرى، وتتفاقم الأمور.

ولما أنفذ عبيد الله للمنذر بن الزبير قطائعه «ورد على يزيد بن معاوية خلاف عبد الله بن الزبير له وإباؤه بيعته، فكتب إلى عبيد الله بن زياد[3]: **إن عبد لله بن الزبير أبى البيعة وصار إلى الخلاف، وقبلك أخوه المنذر فاستوثق منه، وابعث به إلي.**

فورد كتابه بذلك على عبيد الله بن زياد، فأخبر المنذر بما كتب إليه به يزيد، وقال له: اختر مني إحدى خلتين: إن شئت اشتملت[4] عليك، ثم كانت نفسي دون نفسك، وإن شئت فاذهب حيث شئت، وأنا أكتم الكتاب ثلاث ليال، ثم أظهره وأطلبك فإن ظفرت بك بعثت بك إليه، فاختار أن يكتم الكتاب عنه ثلاثا، ففعل، وخرج المنذر فأصبح بمكة»(ابن عساكر ،ج60، 1995م، ص299) .

وجاء في رواية أخرى عن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عوف قال: «ورجع المنذر بن الزبير من عند يزيد بن معاوية، فقدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة، فأكرمه وأحسن ضيافته- وكان لزياد صديقا- إذ سقط إليه كتاب من يزيد بن معاوية- حين بلغه أمر أصحابه بالمدينة وثورة الناس عليه بها قبل وقعة الحرة -: **أوثق المنذر بن الزبير واحبسه عندك حتى يأتيك فيه أمري.**

فكره ذلك عبيد الله بن زياد...فأذن له فانطلق حتى لحق بالحجاز، فأتى أهل المدينة، فكان فيمن يحرض الناس على يزيد» (الطبري ، ج5، 1960، ص480)

أما مصعب الزبيري فقد قال في روايته: سوغ معاوية المنذر بن الزبير مالا ، «ثم بدا ليزيد **فكتب إلى عبيد الله بن زياد يأمره بحبس ذلك المال عن المنذر ، وألا يدع المنذر يخرج من البصرة** ، وذلك

حين خالفه عبد الله بن الزبير، فخاف أن يلحق بأخيه فيكون عونا له ، فأرسل إليه ابن زياد فأخبره الخبر...فانطلق المنذر قبل مكة وكان م ع أخيه حتى قتل»(مصعب الزبيري ، د.ت، ص245)

وعن أبي مخنف باختلاف عما سبق قال: «لما بلغ يزيد خلع أهل المدينة وتولية ابن الغسيل أمرهم**كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه** ، فكره ابن زياد ذلك لأنه كان ضيفه، وصديق أبيه زياد»(البلاذري ، ج5، 1996م، ص338)، فلما وصل كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد كتب إليه: «إنه إنما صار إلي متبرئا من أصحابه مخالفا لقولهم وفعلهم»(البلاذري، ج5، 1996م، ص338)[5]، ثم تركه يرجع إلى الحجاز فرجع وألب على يزيد[6]. وبهذا أفصح المنذر على ما كان يضمره ويكنه ليزيد، فانساق مثله مثل أصحاب وقعة الحرة، يحرض الناس على يزيد ويدعوهم إلى خلعه، ويتهمه ويشنع عليه، ثم إن تساهل عبيد الله بن زياد، ومخالفته لقرارات الخليفة كان له أيضا دور في مجريات الأحداث وانتفاضة الجماهير على يزيد.

ومما كتبه يزيد إلى ابن الزبير كما جاء عن عبد الرحمان بن أبي الزناد عن أبيه قال: «عزل – يزيد- الوليد بن عتبة عن المدينة وولاها عمرو بن سعيد بن العاص **وأرسل إليه: إن أمير المؤمنين يقسم بالله لا يقبل من ابن الزبير شيئا حتى يؤتى به في جامعة**، فعرضوا ذلك على ابن الزبير فأبى، فبعث يزيد بن معاوية الحصين بن نمير، وعبد الله بن عضاه الأشعري[7] بجامعة إلى ابن الزبير»(ابن عساكر، ج28، 1995م، ص208)

لقد استمر ابن الزبير - رغم تهديدات يزيد - معاندا معارضا ، وقال: «اللهم إني عائذ ببيتك، وقد عرضت عليهم السمع والطاعة، فأبوا إلا أن يخلوا بي ويسفكوا مني ما حرمت، فمن يومئذ سمي العائذ» (ابن عساكر، ج28، 1995م، ص 208)

فكتب يزيد إلى عبد الله بن الزبير:« **إني قد جعلت عليّ نذرا أن يؤتى بك في سلسلة**، قال: فلا أبر الله قسمه، ولا وفى له الوفاء بنذره». (البلاذري، ج5، 1996م، ص320)

وفي رواية أخرى عن هشام بن عروة عن أبيه: «أن يزيد بن معاوية كتب إلى عبد الله بن الزبير- لما بلغه أظهر خلافه وتحصن بمكة-: **إني قد بعثت إليك سلسلة من فضة وقيدين من ذهب، وجامعة[8] من فضة، وحلفت بالله لتأتيني في ذلك، فأبر قسمي، ولا تشق العصا.**

فألقى عبد الله بن الزبير الكتاب وقال:

ولا أبين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضغ الحجر».(الأصفهاني،1996م، ص331)

وعن عبد الرحمان بن أبي الزناد عن أبيه قال: «بعث يزيد بن معاوية الحصين بن نمير، وعبد الله بن عضاه الأشعري بجامعة إلى ابن الزبير **يقسم له بالله لا يقبل منه إلا أن يؤتي به فيها**، فمرا بالمدينة فبعث إليه مروان معهما عبد العزيز بن مروان يكلمه في ذلك، وهو ن عليه الأمر...فكتب ابن

الزبير إلى مروان يجزيه خيرا، ويقول: قد عرفت عنايتك ورأيك، فأما هذا فإني لا أفعله أبدا، فليكفني يزيد عن يمينه أو يدع». (ابن عساكر، ج28، 1995م، ص207، 208)

بهذا الإختلاف الذي ساقت المصادر روايتها فيما يتعلق بإرسال يزيد إلى ابن الزبير، فقد أشفق يزيد - على ما يبدو- أن يجد في قتال ابن الزبير، لأنه كان عائذا بمكة، وهي المدينة الحرام التي لا يصح فيها القتال وسفك الدم، غير أن الروايات فيما يتعلق بمسلك يزيد إزاء ابن الزبير ناقصة مضطربة، فرواية أبي نعيم وابن عساكر ذكرت أنه أرسل إليه السلسلة، فرد ابن الزبير البريد ورفض السلسلة، وتمثل بما قاله، ومن هنا بدأت المعركة.

أما إرسال السلسلة فلا يبدو عنصرا منسجما مع ما في الرواية، وحكاية إرسالها موضوعة في جملة القصة والرسالة وضعا لا يعدو أن يكون مصطنعا، وهي ترجع بالأحرى إلى المفاوضات السلمية، قبل اللجوء إلى الوسائل العنيفة(يوليوس فلهوزن، 1968، ص145)، وهذا ما تؤكده رواية البلاذري والطبري، بل أضاف الطبري رواية أخرى عن الواقدي قال: لما قدم عمرو بن سعيد المدينة واليا، قال: قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتي به في جامعة، فليبر يمين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنسا لا ترى إلا أن يسمع صوتها[9]، (الطبري، ج5، 1960م، ص346) فأين الجامعة التي أرسلها يزيد؟.

وأوردت المصادر رسالة ثانية من يزيد إلى ابن الزبير ليعود إلى الطاعة:

قال أبو حنيفة الدينوري: إلتجأ ابن الزبير إلى مكة، ورفض القدوم على يزيد وطاعته، وطرد الحرسي الذي بعثه يزيد، «فانصرف الحرسي إلى يزيد، فأخبره بذلك، فوجه يزيد بعشرة نفر من أشراف أهل الشام فيهم النعمان بن بشير، وعبد الله بن عضاة الأشعري- وكان له صلاح- ومسلم بن عقبة- لعنه الله- فقال لهم: انطلقوا فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة، **وأعلموه أن أحب الأمور إلي ما فيه السلامة»**. (الدينوري، د.ت، ص242).

لقد حاول يزيد أن يستخدم جميع الأساليب، ويلعب جميع الأوراق السلمية مع ابن الزبير، حتى يتفادى ماكان حصل قبل هذا من وقعة الحرة ومقتل الحسين، فتعامل بالحسنى مع ابن الزبير، وكتب إليه بالعافية وحب السلامة، وقد سبق وأن كتب إليه يطلب بيعته بأسلوب أقل ما يقال عنه أنه عرف للرجل قدره، ورفع منزلته، فقد كتب إليه:«...فأذكرك الله في نفسك، فإنك ذو سن من قريش، وقد مضى لك سلف صالح، وقدم صدق من اجتهادٍ وعبادة، فاربب صالح ما مضى، ولا تبطل ما قدمت من حسن، وادخل فيما دخل فيه الناس...» (البلاذري، ج5، 1996م، ص318)، إلا أن هذه الرسالة وغيرها لم ترض ابن الزبير، ولم تثنه عن عزمه، إذ لما جاء رسل يزيد مكة لم يجبهم إلى البيعة، فانصرفوا إلى الشام، وأخبروا يزيد بأمره(الدينوري، د.ت، ص245)، فوجه يزيد عند ذاك جيش الشام

إلى مكة لحرب ابن الزبير الذي كان متحصنا بها، وفي الطريق أدرك الموت قائدهم مسلم بن عقبة، فولوا عليهم الحصين بن نمير السكوني[10] ، فخرج حصين إلى ابن الزبير فقدم مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز، فحاصروه أربعة وستين يوما وكان القتال في هذه المدة شديدا، ورميت الكعبة بالمنجنيق، وفي هذه الأثناء جاءهم نعي يزيد بن معاوية، فقال الحصين لابن الزبير: إن كان هذا الرجل قد هلك -يعني يزيد- فأنت أحق بهذا الأمر، قم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فوالله لا يختلف عليك اثنان، قال ابن الزبير: لا أفعل، فقال الحصين: قد كنت أظن أن لك رأيا، أنا أدعوك إلى الخلافة وأنت تعدني بالقتل (ابن الجوزي: ، 1992، ص22)، واستغل ابن الزبير شغور منصب الخلافة ليوسع نفوذه نحو العراق واليمن ومصر.

هذا ونشير إلى أن العوامل الدينية كان لها دورها الفعال في تأييد عدد كبير من المسلمين لثورة عبد الله بن الزبير، وقد شعر عبد الله بأهمية هذا العامل فاستغل قدسية مكة، واتخذها مركزا لثورته، وأطلق على نفسه لقب عائذ، وكانت قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه، واعتقاد أهل الحجاز أن أولاد الصحابة أحق من غيرهم بالخلافة، من الأمور التي ساعدت على إصباغ الصفة على نفسه(جاسم صبكان علي، 2002، ص138).

ومما كتبه يزيد أيضا بشأن ابن الزبير ما رواه جرير عن مغيرة قال:«وكتب يزيد لابن مرجانة- يقصد عبيد الله بن زياد_:: **أن اغز ابن الزبير**، فقال: لا أجمعهما للفاسق أبدا، قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واغزو البيت؟!»(الطبري ، ج5، 1960م، ص483).

أما ابن كثير فقد أورد الرواية باختلاف عما سبق قال: «وقد كان يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد: **أن يسير فيحاصره بمكة** ، فأبى عليه، وقال: والله لا أجمعهما للفاسق أبدا» كتب له هذا بعد أن رفض عبيد الله بن زياد تولي المهمة، وقد كان عمرو بن سعيد واليا على المدينة. (ابن كثير، 2003م ص186).

يبدو التناقض واضحا بين رواية الطبري ورواية ابن كثير، إذ ثمة فارق كبير بين أن يأمر يزيد بغزو البيت أي إنتهاك حرمته، وبين أن يأمر بالحصار أي استسلام ابن الزبير سلميا واحتراما لقدسية المكان، فأيهما أمر يزيد؟

ثم كتب يزيد بن معاوية بعد ذلك إلى عمرو بن سعيد كما في رواية عمرو بن دينار: « **أن استعمل عمرو بن الزبير[11] على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير، وابعث معه أنيس بن عمرو[12]**» (الطبري ، ج5، 1960م، ص345) فساروا إليه فهزم جيش عمرو وسجنه عبد الله.

وقال الواقدي باختلاف عما سبق:« لما قدمت رسل يزيد عليه وليس ابن الزبير معهم، وأعلموه ما يقول، كتب إلى عمرو بن سعيد الأشدق: **يأمره بأن يوجه إلى عبد الله بن الزبير جيشا من أهل العطاء والديوان لمحاربته، ويولهم رجلا حازما مناصحا.**

وكان عمرو بن الزبير على شرطة عمرو بن سعيد، فسأله توجيهه على ذلك الجيش -وكان مباينا لأخيه عبد الله بن الزبير يظهر عيبه، ويكثر الطعن عليه، وكان عمرو عظيم الكبر شديد العجب ظلوما، وقد أساء السيرة وعسف الناس، فولاه الجيش- فسار إلى مكة، فتفرق الجند عن عمرو، فأسره أخوه» (البلاذري ، ج5، 1996م، ص397)

وعن عبد الرحمان بن أبي الزناد وغيره قال:«كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد **أن يوجه إليه جندا.**

فسأل عمرو بن سعيد: من أعدى الناس لعبد الله بن الزبير، فقيل أخوه عمرو فولاه شرطه بالمدينة، فضرب ناسا كثيرا من قريش والأنصار بالسياط، وقال: هؤلاء شيعة عبد الله بن الزبير...ثم وجهه إلى عبد الله بن الزبير في جيش من أهل الشام ألف رجل، وأمره بقتاله» (ابن سعد، ج6، 2001م، ص479)،

والأصح أن عمرو بن الزبير كان على الشرطة قبل أن يرد كتاب يزيد كما جاء في الروايات السابقة، ثم إن عمرو بن سعيد يعلم كره عمرو بن الزبير لأخيه وعداوته، فلماذا يسأل عن ذلك؟

هذا وذكر ابن أعثم رواية أخرى باختلاف عما سبق قال: «كان عبد الله بن الزبير معتزلا بمكة، فجعل يجمع الجموع، وجعل يقوي أمره يوما بعد يوم، وكان يومئذٍ أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص من قبل يزيد، فكتب إليه يزيد من الشام **يخبره بخبر عبد الله بن الزبير وأخيه**، فعزم عمرو بن سعيد على ذلك، وكان بنو أمية يكرمون عمرو بن الزبير لأن أمه بنت خالد بن سعيد بن العاص، فكانوا يكرمون عمرو بن الزبير لأنه ابن أختهم، قال: وكان عمرو بن الزبير من أشد الناس عداوة لأخيه عبد الله بن الزبير، فدعاه عمرو بن سعيد فعقد له عقدا، وضم إليه جيشا كثيفا، ووجه به لمحاربة أخيه عبد الله بن الزبير... فوقعت الهزيمة على جماعة بني أمية»(ابن أعثم الكوفي ، 1991م ، ص153)

هذه هي روايات رسالة يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد، والتي يظهر فيها اختلاف بين في أمر يزيد لعمرو بن سعيد، فرواية الطبري ذكرت أنه أمره بتوجيه الجيش تحت قيادة عمرو بن الزبير بخلاف رواية الواقدي التي ذكرت أن يزيد خير عمرو بن سعيد فيمن يوليه أمر الجيش، المهم أن يكون رجلا حاز ما مناصحا، أما بقية الروايات فأشارت فقط إلى أمر يزيد بتوجيه جيش إلى ابن الزبير، وخاصة رواية ابن أعثم التي كانت أشد غموضا إذ لم تذكر هذا كله، وجاءت فقط بذكر أن يزيد كتب

إلى عمر ويخبره بخبر عبد الله بن الزبير، ولا أظن أن هذه الرسالة بهذا المضمون تتماشى مع الموقف المحتدم، إذ كيف يكتب يزيد إلى عمرو دون أن يشير عليه بما يجب أن يقوم به؟!.

هذا وأورد البلاذري رسالة من يزيد لابن الزبير مفادها: «أن يزيد لما عرض جنده كتب لابن الزبير رقعة لطيفة أفرد بها رسولا، ويقال: إنه لم يكتب ولكنه قال قولا ظاهرا:

استعد ربك في السمـــاء فإنني أدعو إليك رجال عك[13] وأشعر[14]

ورجال كلب والسكون[15] ولخمها[16] وجذام[17] تقدمها كتائب حمير

كيف النجاء أبا خبيب[18] منهم فاحتل لنفسك قبل أتي العسكر» (البلاذري، ج5، 1996م، ص341).

لم تفصل لنا رواية البلاذري هذه فيما إذا كان يزيد كتب بهذه الرسالة إلى ابن الزبير، أم أنه أوصى بذلك له مشافهة، أم أنه تمثل فقط بهذه الأبيات، ومهما يكن فالأمر البين هنا أن سياسة يزيد قد كشفت عن وجهها الحقيقي القائم على العنف والشدة في فض النزاعات، وحسم الأمور، إلا أن هذا الأمر لم يتم ليزيد، بل أدركته المنية قبل أن يتخلص من ابن الزبير، فكانت للأحداث وجهة أخرى غير التي كانت منتظرة.

وجدير بالذكر هنا أن هذه الرسالة من يزيد إلى ابن الزبير كانت بعد المحاولات السلمية التي قام بها يزيد معه، وكان آخرها ما ذكرنا آنفا من أنه أرسل إليه يحلف عليه ليأتينه في جامعة، ثم كتب إليه يعاود طلب البيعة، وأن أحب الأمور إليه ما فيه السلامة، وبعد نفاذ كل هذه السبل أدرك يزيد أنه لا مجال للمهادنة مع ابن الزبير، وأن الحرب هي المسلك الوحيد في التعامل معه، خاصة وأن نفوذ ابن الزبير وشعبيته بدأت تتوسع، فخير أمر يبدو يزيد في اعتقاده هو التعجيل بالقضاء عليه، فكان عمرو بن الزبير هو صاحب المهمة الذي اختاره يزيد وعمرو بن سعيد لما يعلمانه من عداوةٍ بينه وبين أخيه، إلا أن هذه المبادرة باءت بالفشل فكان أن هزم جيش يزيد، وأسر عمرو بن الزبير وقتل على يد أخيه عبد الله (ابن سعد، ج6، 2001م، ص479)، مما زاد الأمر تعقيدا على الخليفة، وعندها يكون مسلم بن عقبة المري هو رجل هذه المهمة الصعبة، خاصة وأنه أثبت قدرته وولاءه يوم الحرة.

وليس من الصعب علينا كشف العوامل التي ساعدت على تغيير القوى، بحيث أصبحت لصالح ابن الزبير، فلقد كان مقتل الحسين في كربلاء، وإذلال أهالي المدينة عاملين مهمين أثارا نقمة الحجازيين على حكم يزيد، وفقد أهل الحجاز الثقة بهم، وأخذوا لا يرون في الأمويين أهلا للخلافة، كما لا ننسى سمعة يزيد بن معاوية المتسمة بالعبث والمجون والفسق، عكس ابن الزبير التقي الورع الفقيه (شحاذة الناطور، 1996م، ص16)

وفي مقابل أهل الحجاز كان أهل الشام يرون الخلفاء الأمويين ممثلين للإسلام والنظام، وكانوا لا يرون في الإستيلاء على المدينتين المقدستين سوى تدبير ضروري دعا إليه الموقف العدائي لأهل الحجاز، دون أن تراود فكرة انتهاك الحرمة المقدسة أيا منهما (فان فلوتن، 1996، ص71)

2. ابن الزبير وخلفاء الفرع المرواني – مروان وعبدالملك-:

وبعد وقعة الحرة مات مسلم بن عقبة وهو في طريقه إلى مكة لقتال ابن الزبير، فتولى قيادة الجيش بعده حصين بن نمير السكوني، وبينما هم في حصار ابن الزبير إذ أدركت المنية يزيد بن معاوية، وكان ذلك في صفر سنة 64هـ، وذكر اليعقوبي أن مروان كتب إلى الحصين بن نمير السكوني: « **لا يهولنك ما حدث وامض لشأنك**» (اليعقوبي، 2010، ص253).

وفي هذه الرواية نظر ، إ ذ أن مروان لم يكن له من الأمر شيء بعد وفاة يزيد، بل إن الحصين انسحب بعد الفراغ الذي حصل في الخلافة بموت يزيد ، والأمر لم يعقد لمروان ، بل مروان نفسه كان يميل إلى مبايعة ابن الزبير قبل الجابية لولا أن عبيد الله بن زياد أثناه عن عزمه (ابن كثير، ص 203).

والحق أن الحصين اقترح على ابن الزبير الخروج إلى الشام لأخذ بيعته، خاصة وأن منصب الخلا فة لا يزال شاغرا، وبنو أمية مختلفون وقال له: إن يزيد قد مات، وابنه صبي، فهل لك أن أحملك إلى الشام، فليس بالشام أحد يخالفك، فليس يختلف عليك اثنان؟ فرفض، فقال له الحصين: من زعم أنك داهية فهو أحمق، ثم انصرف(اليعقوبي، 2010م، ص253).

وكانت هذه فرصة أضاعها ابن الزبير وندم عليها بعد ذلك (اليعقوبي، 2010م، ص253)، ولو خرج إلى الشام لربما كان الأمر سيجري بخلاف ما كان، خاصة وأن الأيام أثبتت مقدرة أهل الشام على تحقيق الحسم للتاريخي (حمدي شاهين، 2001، ص295)

أ-مقتل مصعب وإنهاء حكم ابن الزبير على العراق:

استمر الصراع مع ابن الزبير إلى عهد عبد الملك بن مروان الذي وجه بدوره خالد بن عبد الله إلى البصرة، فاقتتل مع الزبيريين، وأقبل مصعب بن الزبير من الكوفة حين بلغه خبر خالد بن عبد الله، وشغل عبد الملك بن مروان عنه بعمرو بن سعيد و بزفر بن الحارث المتمردين عنه بالشام **وكتابه إلى خالد أنه لا يمكنه ورود العراق في عامه، لما انتشر عليه من الأمور** ، فوهن أمر خالد، وهرب إلى عبد الملك، فصالح عبد الملك زفرا وانصرف إلى الشام، ثم انصرف إلى العراق لقتال مصعب (البلاذري،ج5، 1996م، ص80، 81).

لم يكن عبد الملك يعتبر الخلافة التي أخذها عن مروان خيرا محضا، بل هي مسؤولية وتركة ثقيلة، وهم مؤرق، ويتبين أن ما آل إليه ليس نعمة خالصة، ولكن أيضا محنة ستكلفه الكثير من الجهود

المضنية، وسيبتلى فيها فكره وعزيمته وإرادته إلى آخر مدى تتحمله القدرة البشرية، ذلك أنه إذا نظر إلى ما حوله ماذا يرى؟ يرى أنه يوجد في الجانب الآخر من الدولة خليفة آخر، فلم يعد هناك خليفة واحد بل خليفتان[19]، خصم قوي عنيد، و شخصية كبيرة ذات تاريخ مجيد لا يستهان به، وأبوه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل الشورى، وهذا هو عبد الله بن الزبير الذي أبى منذ البداية أن يبايع ليزيد، وأعلن خلافته عقب وفاته، وبويع باليمن ومصر والحجاز وخراسان والعراق (الريس ضياء الدين،1962، ص15).

فمن وجهة نظر عبد الملك لا يمكن السكوت إذن على هذه الحال، وإلا سيعظم الضرر ويتفاقم الخطر، لابد أن تبذل الجهود لإنقاذ الدولة من هذا التصدع وإزالة الانقسام، فتجمع كلمة الأمة مرة ثانية، وتنتظم تحت لواء واحد، وتستأنف سيرها قدما تحت قيادة خليفة واحد، فإلى متى سيستمر الحال إذا سكت عبد الملك؟ ومن يكون الخليفة؟!.(الريس ضياء الدين،1962، ص186).

قال الشعبي:كانت العراق تابعا لعبد الله ابن الزبير، فولى عليها أخاه مصعب ، وكانت هي هدف عبد الملك بعدما قضى على الانشقاق بالشام، فسعى إلى افتكاكها من ابن الزبير ، وإعادتها إلى رحاب الخلافة، فسار إليه عبد الملك سنة 71 هـ، وبعث بين يديه السرايا، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة، فدعا أهلها إلى عبد الملك في السر، « **وكتب عبد الملك إلى شيعته بالبصرة أن يخرجوا على مصعب، وأخبرهم أنه باعث إليهم بألفٍ من أهل الشام**»(ابن سعد ، ج6، 2001م، ص496)، فأجابوه كلهم. (الطبري، ج6، 1960م، ص156).

لقد بينت الرواية أن هدف عبد الملك القضاء على مصعب والاستيلاء على البصرة كخطوة أولى نحو السيطرة على العراق، إذ كانت الجبهة الداخلية الهاجس الرئيسي لدى عبد الملك، حيث أولاها المقام الأول من اهتماماته، وذلك عبر برنامج مرحلي ومنظم، ومن البديهي أن خلافة الحجاز كانت لا تزال العقبة الكأداء التي تحول دون استعادة المركزية السياسية لدولة الأمويين، فكان التخطيط لضربها في مقدمة القرارات التي اتخذها عبد الملك من خلال جهازه العسكري القوي، بيد أن الخليفة لما اتخذ قراره لم يبدأ بالحجاز، وإنما بدأ بالعراق، لأنه رأى فيها خطرا وتدعيما للحجاز (إبراهيم بيضون،1979 ، ص224).

وهكذا أدرك عبد الملك أن المعركة الفاصلة ستكون في العراق، فبدأ يتجهز للقاء مصعب، ويقرر المسير إليه بنفسه، لأنه كان يدرك أن مصعبا هو سيف عبد الله وساعده، والقضاء عليه إنما يعني القضاء على الحركة الزبيرية، وبالفعل فإن عبد الله بن الزبير لم يستطع الصمود أكثر من عامين بعد مقتل أخيه (خليل إبراهيم جفال، 1991م ، ص55).

وجاء في رواية عند المدائني قال: «دخل الأحنف[20] على مصعب فأنكر تكره، وقال أنه مد رجليه بين يديه وهو جالس معه على السرير، فقال عجبا لمن يتكر ويتجر وقد جرى في مجرى البول مرتين،

فلما بلغ عبد الملك قول الأحنف بعث إليه: **«إنه قد بلغني تكرم صاحبك لك، فهلم إلينا فلك عندنا ولاية الشام.**

فقال الأحنف: يا عجبا لابن الزرقاء يدعوني إلى نفسه وأهل الشام، والله لوددت أن بيننا وبينهم بحرا من نار لا يعبره إلينا منهم أحد إلا احترق، ثم قال: اللهم أمت الأحنف قبل أن يرى لأهل العراق غدرا، فمات بالكوفة بعد يسير» (البلاذري، ج7، 1996م، ص25، 26)، ولم يقبل عرض عبد الملك.

وقال أبو الحسن المدائني: أرسل عبد الملك إلى مصعب رجلا من كلب فقال له: « **اقرئ ابن أختك السلام، وقل له يدع أن يدعو إلى أخيه، وأدع أن أدعو إلى نفسي، ونصير الأمر شورى** ، فقال مصعب: قل له: السيف بيننا»،(الزبير بن بكار، 1996م ، ص426). وعندها بدأ عبد الملك القتال.

لقد كانت هذه الرسالة الشفوية من عبد الملك آخر جولة في مفاوضاته مع مصعب، فقد حاول أن يجعل بينهما أرضية حوار وتفاهم مؤقتا على الأقل، ولاشك أن هذه الرسالة نوع من المداراة والمكر من عبد الملك، إذ كيف يخرج نفسه عن الخلافة وهو يقاتل عليها، وأراق في سبيلها الكثير من الدماء ؟!، ولعل هذا ما لمسه مصعب، فرفض إقتراحه بالجملة، فكانت الحرب هي المخرج الوحيد بينهما كآخر أداة لرجال الفكر السياسي.

لقد كانت المعطيات في العراق طبقا للأهداف المرسومة للخطة العسكرية التي وضعها عبد الملك، فسقطت العراق بأقل من الجهد المتوقع، وبذلك أصبحت جزءا من الدولة الأموية الجديدة (شحاذة الناطور، ص80) ، فتم النصر لعبد الملك واستولى على الكوفة والعراق، وكم كان هذا الأمر عزيزا بعيد التحقيق فمكنه الله منه، وبذا قطع جناح ابن الزبير، واتسعت حدود دولته، وأصبح قريبا من تحقيق هدفه الأكبر، وهو توحيد الدولة (إبراهيم رماش،,2010/2009، ص110)

لقد فشل ابن الزبير في العراق بسبب السياسة التي سار بها مصعب من جهة، وبسبب عدم إخلاص أهل العراق له من جهة أخرى، يقابل ذلك حسن التصرف الذي قام به عبد الملك مع رؤساء القبائل وأشرافها مما جعلهم يفضلونه على ابن الزبير (محمد عبد القادر خريسات، 2011، ص199).

وهكذا تم العزل السياسي والجغرافي لعبد الله بن الزبير، ليبقى في ميدان النزاع السياسي خصمان قويان عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، غير أن موقف ابن الزبير كان أثبت في الظاهر، فالحجازيون كانوا يريدون رجلا منهم، وأهل العراق وإن كانوا لا يحبون ابن الزبير فإنهم يكرهون بني أمية أشد الكره، أما مصر والعراق فقد دخلتا في طاعة عبد الملك كرها بعد أن كانتا في طاعة ابن الزبير (عمر فروخ ، 1986، ص143).

ب-الحرب والقتال بين عبد الملك وابن الزبير ونهاية طموح ابن الزبير:

ولما بويع عبد الملك بالشام وقضى على مصعب بعث إلى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام، وأمره أن لا يدخل المدينة، وأن يعسكر بالعرصة[21]، فأقام شهرا، «ولم يبعث إليهم ابن الزبير أحدا، ولم يلقوا قتالا، **فكتب إليهم عبد الملك أن يقبلوا إلى الشام** ففعلوا، ولم يتخلف منهم أحد». (ابن عساكر، ج40، 1995م، ص210).

كانت هذه أول خطوة في صراع عبد الملك لعبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب، ولا شك أن هذه الحملة كانت حملة إستطلاعية للحجاز أكثر منها حربية، كما أن عبد الملك طمع على ما يبدو في أن يحوز على بيعة ابن الزبير دون تكلفة، أو على الأقل كان ينتظر من ابن الزبير أن يبعث إلى عروة من يفاوضه، ويضع شروطه على مائدة الحوار، ولما لم يحصل ذلك أمر عروة بالقفول إلى الشام.

لقد أجبرت السرايا المتتالية التي كان عبد الملك يبعثها إلى الحجاز ابن الزبير على أن ينحصر في مكة والمدينة دون بقية الحجاز، وإذا شئنا أن نسمي هذه السرايا، أطلقنا عليها بما يشبه في التاريخ الحديث حرب الاستنزاف قبل الموقعة الكبرى التي تكون نهاية للأحداث، (عبد اللطيف السيد، 2008م، ص187) خاصة وأن غذاء أهل المدينة كان يأتيها من خارجها، فصار أصحاب ابن الزبير يأكلون لحوم الفرس في الحصار، وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما كان عند ابن الزبير من الطعام، فكانت المجاعة التي أصابت الناس في أيامه.(البلاذري، ج7، 1996م، ص120)

وعن عاصم بن الحدثان قال: «**كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعده فيه**، وكتب فيه:

إني لعند الحرب تحمل شكتي[22] إلى الروع[23] جرداء السيالة[24] ضامر[25] » (الأصفهاني ، د.ت، ص302)، ثم كتب عبد الملك بعد ذلك إلى الحجاج يوجهه لابن الزبير:

قال البلاذري :«كتب ابن الزبير بعد قتل مصعب إلى أهل العراق يدعوهم إلى طاعته، وبعث بكتابه إليهم مع رجل من الأنصار، فرفع ذلك إلى بشر بن مروان، فأخذ الأنصاري فقتله، وبعث بشر بالكتاب الذي كتبه ابن الزبير إلى عبد الملك، فكتب إلى الحجاج والحجاج بالطائف: **أن سر إلى ابن الزبير، فاقتل معه وأشغله**، فقدم مكة وحصره». (البلاذري، ج7، 1996م، ص138)

على الرغم من أن خطة عبد الملك العسكرية نحو الحجاز كانت تفترض إعداد جيش كبير للقضاء على مركز الخلافة التي مضى عليها ما يقارب ثماني سنوات (72-65 هـ)، وأن الغزو سيكون في عين الطامح ابن الزبير، إلاأننا نجد عبد الملك لا يعطي الحجاز الأهمية المنتظرة، فهو لم يعد الجيش بنفسه كما فعل في قرقيسياء مع زفر بن الحارث، وفي العراق مع مصعب بل اكتفى بأن أرسل قائدا مغمورا ألا وهو الحجاج، وذلك لقناعته بأن جناحي دولة ابن الزبير قد قطعا فالجناح الأول هو مصر،

والآخر هو العراق، فهو بذلك جسم غير قادر على الحركة فضلا عن المقاومة(شحاذه الناطور، 1996م، ص80، 81)

فسار الحجاج حتى نزل الطائف، فوقعت بينهم مناوشات خاطفة، يهزم فيها ابن الزبير ، « ثم إنه كتب إلى عبد الملك: إنك متى تدع ابن الزبير وتكف عنه، ولا تأمر بزحمه ومصادمته يكثر عدده وعدده وسلاحه، فأذن لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه: **إفعل ما تري** . فأمر أصحابه بالتجهز للحج ثم أقبل من الطائف، وقدم مقدمته، فضبوا المنجنيف» .(البلاذري ، ج7، 1996م، ص116)

لقد حصر عبد الملك المعارضة ليس في حدود الحجاز فحسب، بل على نحو أدق في مكة، وهذا ما دعاه إلى توجيه الحجاج إلى الطائف كموقع أمامي لحصار مكة، محاولا إسقاطها عبر سياسة الإستدراج إلى الخارج، والضغط منه، وهي سياسة لم تنجح، واستغرقت حوالي ستة أشهر، مما دفع بالحجاج إلى فرض الحصار، والعمل على اختراق مكة، وكان عبد الملك عبر الأسلوب الأول لافي تلك الضجة التي أثارتها عملية الحصين عندما قذف الكعبة بالمنجنيق، مما أدى إلى إحراقها، وكان من البديهي أن تتلاشى قوة ابن الزبير المحلية، بعد أن تبخرت قواه الخارجية تباعا.(زهير هواري، 2003.ص304)

وبهذه الرسالة أطلق عبد الملك يد الحجاج في محاربة ابن الزبير، وأعطاه كامل الصلاحيات في التعامل معه، وفوضه في اختيار الطريقة التي يراها مناسبة للمقام، وبذا بدأت المعركة الحقيقية بين عبد الملك وابن الزبير.

كما أورد ابن سعد رسالة من عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بالحجاج:

فعن شرحبيل بن أبي عون قال:« لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير بمكة في ألفين من جند أهل الشام ، **وكتب إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بالحجاج.**

فسار طارق في أصحابه وهم خمسة آلاف، فلحق بالحجاج، فحصروا ابن الزبير وقاتلوا، ونصبوا عليه المنجنيق»،(ابن سعد، ج7، 2001م، ص225).

وذكر الطبري في حوادث سنة 72 هـ: رسالة من عبد الملك إلى أهل مكة بالأمان إن دخلوا في طاعته:قال: « وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال ابن الزبير...فبعثه في جيش كثيفٍ من أهل الشام، فسار حتى قدم مكة، **وقد كتب إليهم عبد الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته**» (الطبري، ج6، 1960م، ص174)

تلك هي السياسة نفسها التي سار عليها عبد الملك في العراق لما توجه لقتال مصعب، فلقد سعى إلى تجريد ابن الزبير من أصحابه ومؤيديه بعد ما خارت قواه، ليبقى وحيدا في ساحة المعركة، فيظفر به بأقل تكلفه، وهو ما تم فعلا لعبد الملك.

وقال ابن أعثم: لما سأل الحجاج عبد الملك المدد أمده بستة آلاف، فاقتتلوا مع ابن الزبير أيلما كثيرة، وبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجاج: « **أما بعد، فقد بلغني ما كان من محاربتك لعبد الله بن الزبير، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث إليه، واسأله الدخول في طاعتي وأعطه الأمان، فإن هو قبل ذلك فاحمله إليّ مكرما ، وإن أبى فجد في حربه ولا تقصر فيما كتبت به إليك.**

فلما بلغ الكتاب الحجاج أرسله إلى ابن الزبير، فدخل على أمه أسماء بنت أبي بكر، فقالت له: يا بني إنك قد ناديت القوم بالمنافرة، وأسرعت لهم المدافعة، وغير هذا أخصب جنابا لعيشك، فأما إذا كنت لا تريد أن تكون ذنبا لبني أمية، فاجعل الثقة بالله حشو قلبك، ولا تحتجزن على بغي يوبقك مصدره والسلام» (ابن أعثم، 1991م، ص339)

وبذلك أعلن ابن الزبير القتال، وأدرك الحجاج أنه لن يجيبه إلى الطاعة، فرمى المسجد الحرام بالمنجنيق، وقاتل ابن الزبير حتى قتل في ثلاثة عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 73 هـ، (خليفة بن خياط ، 1995م، ص168)، و بمقتل ابن الزبير انتصرت سياسة الشام انتصارا نهائيا، فما هي أسباب ذلك؟.

لعل ذلك راجع إلى أن الحجاز لم يكن باستطاعته أن يبقى مركزا للخلافة، نظرا لموقعه الذي لا يتوسط الأقطار الإسلامية، فلا يصلح لأن يكون عاصمة لدولة مترامية الأطراف، كما لم يكن بيد الخليفة في الحجاز جيش منظم، ولا شرطة تحميه (يوسف العش، 1985.، ص202)، هذا وإن ابن الزبير لم يظفر بالأمويين لأسباب أهمها، حرصه على المال، وبخله بالعطاء على طلاب العطاء، وانصرافه عن تأليف القلوب بالهبات، على حين أن بني أمية كانوا أسخياء، وكانوا يصطنعون الناس بالأموال، ويشترون التأييد من القبائل والأفراد، ثم إن العلويين لم يناصروه، فقد امتنع في بداية الأمر محمد بن الحنيفة من مبايعته لأنه كان مواليا ليزيد بن معاوية، أو على الأقل وقف من الثائرين على يزيد موقفا سلبيا إذ كانوا يتهمونه بالخمر، وشهد هو بأنه عاشره فلم يعرف عنه ذلك(أحمد محمد الحوفي ، 1965م، ص121) ، وضيف أيضا أن الحجاز من الناحية الاقتصادية لم يكن مكانا خصبا صالحا للمقاومة[26] ، ولا يمكن له أن يتحمل الحصار مدة طويلة. (شحاذة الناطور، 1996م، ص86)

لقد تحكمت الجغرافية بقضيته أشد التحكم، ومع الإقرار أنه لم يكن من السهل عليه إيجاد مقر بديل لسلطانه يخرج إليه، ويترك مكة والحجاز، فإن مكة منذ العهد النبوي كانت فقدت إمكاناتها العسكرية المتواضعة، وبعد تولي بني أمية استقرت القوى العسكرية العربية، والزعامات السياسية والإدارية والمالية خارج الحجاز، وملكت الأمصار زمام القرار الحاسم(رياض عيسى، 1992، ص279).

على أن ابن الزبير لم يخفق هو في شخصه، فلقد كان رجل دولة قديرا فاهما، لكن الذي أخفق إنما هو السياسة التي تمسك بها، سياسة الحجاز وسياسة الحكم الراشدي، ولو كان الناس قادرين على فهم تلك السياسة وقبولها لانتصر ابن الزبير على خصومه، لكنه أخفق كما أخفق علي، وبهزيمة سياسة الحجاز انتصرت سياسة الأمويين بالشام (يوسف العش، 1985م، ص207)

ونشير هنا إلى نقطة مهمة، وهي قضية رمي الحجاج للكعبة بالمنجنيق، فلقد كان عبد الملك أمر الحجاج عند إرساله لمحاربة ابن الزبير أن لا يهتك الكعبة وأستارها، ولا يرمي أحجارها، بل يحاصر ابن الزبير حتى يموت أو يستسلم، وبعد سنة غير عبد الملك رأيه، ووافق على حصار مكة، وضرب الكعبة بالمنجنيق لأسباب عديدة منها:

إستغلال ابن الزبير حرمة مكة والمدينة لأغراض سياسية، معتقدا أن عبد الملك لا يستطيع مهاجمتها دون أن يثير ردة فعل شديد ضده بين المسلمين، وربما كان عبد الملك يدرك أن احتلال ابن الزبير للحرم المقدس واستغلاله له كان يهدد وحدة العالم، طالما أن مؤيدي عبد الملك كانوا يمنعون من آداء فريضة الحج.(جاسم صبكان، 2002م، ص137)

والأهم من ذلك فإنه من المستحيل آنذاك وجود خليفتين للمسلمين في آن واحد، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأسباب الدينية التي منعت عبد الملك من مهاجمة مكة والمدينة هي نفسها دفعته لمثل هذا الهجوم (جاسم صبكان،2002م، ص137)

ثم إن الحجاج ضرب بالمنجنيق ذلك الجزء من الكعبة الذي لم يكن قائما خلال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو جزء إضافي كان عبد الله بن الزبير قد بناه وسماه الحطيم، فهو غير مقدس من الناحية الدينية في رأي عبد الملك، وبعد مقتل ابن الزبير أعاد بناء الكعبة على ما كانت عليه في عهد النبوة. (عبد الواحد ذنون طه،2004، ص41).

ثم إن أي مساس بالكعبة لابد أن يتحمل ابن الزبير نصيبا من تبعته، فهو الذي عرض مكة والبلد الحرام لتبعات الحرب، وأثار القتال، وكان بوسعه أن ينتقل إلى أي بقعة في العالم الإسلامي، بل كان بوسعه أن ينتقل إلى المدينة بعد ما خرج أهلها عن يزيد.

فبنو أمية لم يكونوا- كما يصورهم بعض الرواة- غلاظ الأكباد، لا يقيمون وزنا للمقدسات الإسلامية، بل مسلمين يفهمون قدسية هذه الأماكن، ويجلونها، كما كانوا غير مستعدين لإثارة عواطف الجماهير ضدهم ببساطة، بل اضطرتهم ممارسات السياسية إلى ذلك الموقف بعد نفاذ كل السبل (حمدي شاهين، 2001م، ص347)، وهذا ما رأيناه من خلال عرضنا للرسائل تباعا.

خاتمة: وكما رأينا فقد شغلت الدولة بإخماد ثورة ابن الزبير، وأراقت من الدماء واستنزفت من الجهد والمال الكثير، فكانت بذلك عقبة أعاقت -مع غيرها من الحركات المناهضة لحكم بني أمية- الدولة على تحقيق كثير من أهدافها العليا، كالاستمرار في الفتح، ونشر الدين، والاهتمام بتطوير وخدمة رعاياها، كما عرضتها للمخاطر وطمع الأعداء المتربصين في الداخل والخارج، ومع ذلك فقد تصدى لها الخلفاء الأمويون، وعالجوها بشيء من اليقظة والحزم حينا، وبالحكمة واللين حينا آخر، وبذلوا كل طاقاتهم من أجل القضاء عليها وعلى كل ما من شأنه أن يقوض حكمهم الذي أشادوه، وهو ما تم لهم بفضل الخطة المدروسة لعبد الملك بن مروان الذي تفرغ بعدها لبناء وتشييد الدولة والإدارة والاقتصاد.

الهوامش

[1]- حلقتا البطان: البطان هو الحزام الذي يلي البطن، والذي يجعل تحت بطن البعير، يقال: التقت حلقتا البطان للأمر إذا اشتد، مادة بطن، (ابن منظور، د.ت، مج1، ص305)

[2]- جاء في وصية معاوية لابنه يزيد:"...أما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإذا شخص لك فالبد له إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت". (الطبري، ج5، 1960، ص323).

[3]- قال الذهبي : " كان – المنذر بن الزبير بالكوفة لما بلغه خلاف أخيه على يزيد ". الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ):سير أعلام النبلاء, تح:محمد نعيم العرقوسي, شعيب الأرنؤوط, مأمون صاغري، مؤسسة الرسالة, بيروت, (الذهبي، 1982، ص 381).

[4]- نقول اشتمل بالثوب أي أداره على جسده كله، واشتمل عليه أي أحاط به ، مادة شل، مج4، (ابن منظور، د.ت، ص2331)

[5]- بقية المصادر لم تذكر جواب عبيد الله في رواياتها.

[6]- كان مما قاله المنذر لأهل المدينة عن يزيد:" والله إنه ليسكر من الخمر حتى يدع الصلاة، (البلاذري، ج5،1996م، ص338)

[7]- قال ابن عساكر: عبد الرحمان بن عضاه بن الكوكر الأشعري من جند دمشق، كان أبوه من أوائل الصحابة، وكان عبد الرحمان من أهل الفروسية والنجدة والعفاف والسياسة والحرب. (ابن عساكر، ج35، 1995م، ص132).

[8]- الجامعة هي السلسلة التي تجمع الجزور. مادة جمع، (ابن منظور، مج1، د.ت، ص681)

[9]- وعند ابن عساكر أن مروان بن الحكم هو من أشار وطلب من ابن الزبير أن يلبس جامعة من ذهب أو فضة ويجعل عليها برنسا فلا تبدو إلا أن يسمع صوتها. (ابن عساكر، ج28، 1995م، ص208)

[10]- الحصين بن نمير بن نائل أبو عبد الرحمان المدني السكوني، من أهل حمص، خرج مع معاوية في صفين، وولي الصائفة ليزيد بن معاوية، وكان في جيش وقعة الحرة، أمره مسلم بن عقبة على الجيش قبل وفاته، وقاتل ابن الزبير، قتله إبراهيم بن الأشتر هو وعبيد الله بن زياد سنة 66هـ. (ابن عساكر، ج14، 1996م، ص382)

[11]- هو عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي الزبيري، أمه أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، وفد على معاوية وعلى يزيد، وعد من تابعي أهل المدينة، كان معارضا لأخيه عبد الله، بل كان أشد عداوة له، صلبه أخوه عبد الله حتى مات. (الذهبي،2005، ص444-446)

[12] - لم نحصل له على ترجمة؛ وذكر ابن حجر أنس بن عمرو من رجال الشيعة من أهل الكوفة. (ابن حجر، د.ت، ص224)

[13] - هم قوم نسبوا إلى عك بن عدنان أخو معد، وهم باليمن. مادة عكك، (ابن منظور، مج4، د.ت، ص3059)

[14] - أشعر: تقال للرجل الشديد، والأشعر جبل بالحجاز. مادة شعر، (ابن منظور، مج4، د.ت، ص2275).ولعله يقصد الأشعريين باليمن.

[15] - بالفتح حي من اليمن، وقيل أيضا موضع من أرض الكوفة ، مادة سكن، (ابن منظور، مج3، د.ت، ص2056)

[16] - لخم حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية ، مادة لخم، (ابن منظور، مج5، د.ت، ص4018)

[17] - جذام قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى، وتزعم نسابة مضر أنهم من معد، وقيل هم من ولد أسد بن خزيمة، مادة جذم، (ابن منظور، مج1، د.ت، ص579)

[18] - هو لقب عبد الله بن الزبير إذا كان يعرف بأبي خبيب المدني الأسدي، ويقال أبو بكر، (ابن عساكر، ج1995،28م، ص140)، (المي 1988 ، ص509)

[19] - قال الماوردي : " ولما إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد فلا يجوز إجماعا". (الماوردي ،2005م، ص113)

[20] - كان الأحنف بن قيس متشيعا لآل البيت، ثم تحول إلى عبد الله بن الزبير، هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين الأمير الكبير الفاضل أبو بحر التميمي كان ذا حلم وسؤدد، وكان سيد تميم أسلم في حياة النبي وكان من قواد جيش علي يوم صفين.كان زياد معظما له، وكان صديقا لمصعب بن الزبير فمات عنده بالكوفة سنة 67 وقيل 69وقيل 71هـ . (ابن عساكر، ج1995،24م ص298-355).

[21] - العرصة موضع بالمدينة، ومن أفضل بقاعها، وأكرم أصقاعها، وتسمى عرصة العقيق، سميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها، أي لعبهم. (ياقوت الحموي، 1977م، ص 101)

[22] - الشكة السلاح ، وقيل مايلبس من السلاح مادة شكك ، (ابن منظور، مج4، د.ت، ص2309).

[23] - الروع هو الفزع ، مادة روع ، (ابن منظور، مج3، د.ت ، ص1777)

[24] - الجرد من الأرض ما لا ينبت ، أي عارية ، (ابن منظور، مج1، د.ت ،ص587، 588) والسيالة موضع ، ويقال السيال شجر له شوك أبيض، (ابن منظور،مج3، د.ت ، ص2173)

[25] - الضمر من الرجال الضامر البطن الهزيل ، وناقة ضامر كذلك ، (ابن منظور، مج4، د.ت، ص2606).

[26] - وقد وقع في الخطأ نفسه محمد النفس الزكية الذي خرج في العهد العباسي، فتحصن بالحجاز فضرب عليه الحصار حتى هزم. (ابن طباطبا،1997، ص36).

قائمة المصادر والمراجع

أولا-المصادر:

1) الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين(ت356ه)،(د.ت): الأغاني، تح: سمير جابر، ج14، ط2، بيروت، دار الفكر.
2) ابن أعثم الكوفي أبو محمد أحمد(ت314ه)،(1991م): الفتوح ، تح: علي بشيري، ج5، ط1، بيروت، دار الأضواء.
3) البلاذري أحمد بن يحي بن جابر(ت279ه)،(1996م): أنساب الأشراف،تح:سهيل زكار،رياض زركلي، ج 7/6/5، ط1، بيروت، دار الفكر.
4) ابن الجوزي، (1992م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج6، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
5) ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي(ت852ه)، (1420ه): لسان الميزان، تح:عبد الفتاح أبو عدة، ج2، (د.ط)، مكتبة المطبوعات الإسلامية .
6) خليفة بن خياط أبو عمر العصفري(ت240ه)، (1995م):تاريخ خليفة بن خياط، تح:مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
7) الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود(ت282ه)، (د.ت):الأخبار الطوال , تح:عمر فاروق الطباع ،(د.ط)، بيروت، دار الأرقم .
8) _ الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748ه)، (2005م):
9) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تح:مصطفى عبد القادر عطا, ج2، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
10) (1982م)، سير أعلام النبلاء, تح:محمد نعيم العرقوسي, شعيب الأزنؤوط, مأمون صاغري، ج3، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة.
11) الزبير بن بكار أبو عبد الله بن مصعب(ت256ه)،(1996م) : الأخبار الموفقيات, تح:سامي مكي العاني, ط2، بيروت، دار عالم الكتب.
12) ابن سعد محمد بن منيع الزهري(ت230ه)،(2001م):كتاب الطبقات الكبرى, تح:محمد عمر، ج7/6، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي.
13) ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن(ت571ه)، (1995م): تاريخ مدينة دمشق, تح,محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ج60/56/46/40/35/28/24/14، (د.ط)، بيروت، دار الفكر.
14) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276ه)، (د.ت): الإمامة والسياسة,تح:طه محمد الزيني، ج1، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة.
15) ابن طباطبا محمد بن علي(ت709ه)، (1997م):الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية, تح:محمد عبد القادر محمد مايو، ط1، حلب، دار القلم العربي .
16) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310ه)، (1960م):تاريخ الرسل والملوك, تح:محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج6/5، مصر، دارالمعارف.
17) ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل القرشي(ت774)، (2003م):البداية والنهاية,أحمد شعبان بن أحمد، ج8، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الصفا.

18) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت450ه)، (2005م): أدب الدنيا والدين، ط4، بيروت، دار الكتب العلمية.
19) المزي جمال الدين أبو الحجاج يوسف(ت742ه)، (1988م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح:بشار عواد معروف، ج14، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
20) مصعب الزبيري أبوعبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب(ت236ه)، (د.ت) :نسب قريش, تح: ليفي بروفنسال، ط3، القاهرة، دار المعارف.
21) ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري(ت711ه)، (د.ت): لسان العرب، تح:عبد الله عبد الكبير وآخرون، مج 5/4/3/1، (د.ط)، دار المعارف.
22) أبو نعيم بن أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت430ه)، (1996م):حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، (د.ط)، بيروت، دار الفكر.
23) ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي(ت656ه) (1977م): معجم البلدان، ج4، (د.ط)، بيروت، دار صادر.
24) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت284ه)، (2010م): تاريخ اليعقوبي، ج2، ط2، بيروت، دار صادر.

ثانيا-المراجع

1) إبراهيم بيضون، (1979م) : ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، (د.ط)، بيروت، دار النهضة.
2) إبراهيم رماش، (2010-2009): دراسة في برامج ثورات غير الخوارج في العهد الأموي (132-41ه/661-750م), رسالة ماجستير, قسم التاريخ، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر.
3) أحمد محمد الحوفي، (1995م): أدب السياسة في العصر الأموي، (د.ط)، بيروت، دار القلم.
4) جاسم صبكان علي، (2002م) : تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية ،ط1، الأردن، دار الفكر
5) جرجي زيدان، (د.ت) : تاريخ التمدن الإسلامي، ط2، بيروت، دار مكتبة الحياة.
6) حمدي شاهين، (2001م) : الدولة الأموية المفترى عليها، (د.ط)، القاهرة، دار القاهرة للكتاب.
7) خليل إبراهيم جفال،(1991م): الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب، ط1، بيروت، دار النضال .
8) رياض عيسى، (1992م) :الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ط1، دمشق.
9) الريس ضياء الدين، (1962م) : عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية- حياته وعصره- ، (د.ط)، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
10) زهير هواري، (2003م): السلطة والمعارضة في الإسلام- بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية-11-132ه-، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
11) شحاذة الناطور، (1996م): تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ط1، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع..
12) عبد اللطيف عبد الهادي السيد، (2008م):العصر الأموي، (د.ط)، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.

13) عبد الواحد ذنون طه، (2004م): العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط1، بيروت، دار المدار الإسلامي.
14) عمر فروخ، (1986م): تاريخ صدر الإسلام و الدولة الأموية، ط7، بيروت، دار العلم للملايين.
15) فان فلوتن، (1996م) :السيطرة العربية والتشيع و المعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة :إبراهيم بيضون، (د.ط)، بيروت، دار النهضة .
16) محمد عبد الحي محمد شعبان، (1987م) : صدر الإسلام والدولة الأموية (750-600م)، (د.ط)، بيروت، دار الأهلية .
17) محمد عبد القادر خريسات، (2011م): الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، ط1، الأردن، دار اليازوري .
18) يوسف العش، (1985م): الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان ، ط2، دمشق، دار الفكر.
19) يوليوس فلهوزن، (1968م): تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة :محمد أبو الهادي أبو ريدة ، ط2، القاهرة، لجنة التأليف و الترجمة والنشر.